Journal of Islamic Civilization and Culture (JICC)

JOURNAL OF ISLAMIC CIVILIZATION AND CULTURE(JICC)

Volume 3, Issue 1 (Jan-June, 2020)
ISSN (Print):2707-689X
ISSN (Online) 2707-6903
Issue: http://ahbabtrust.org/ojs/index.php/jicc/issue/view/8
URL:http://ahbabtrust.org/ojs/index.php/jicc/article/view/117/114
Article DOI: https://doi.org/ 10.46896/jicc.v3i01.117

Title Usage of symbols in the poetry of Fadwa Toqan(Analytical Study)

Author (s): Muhammad Bilal Khan, Muhammad saleembin Ismail

Received on: 29 June, 2019
Accepted on: 29 May, 2020
Published on: 25 June, 2020

Citation: Muhammad Bilal Khan,. Dr. Muhammad Saleem bin Ismail "Usage of symbols in the poetry of Fadwa Toqan(Analytical Study)," JICC: 3 no, 1 (2020): 330-441

Publisher: Al-Ahbab Turst Islamabad

Islamic Research Index
INTERNATIONAL Scientific Indexing
ALMANHAL
ASIAN Research Index
Crossref
Click here for more

استخدام الرموز فی شعر فدوی طوقان(دراسة تحليلية)

Usage of symbols in the poetry of Fadwa Toqan(Analytical Study)

محمد بلال خان*

دکتور محمد سلیم بن اسماعیل**

Abstract:

The article entitled:" Usage of symbols in the poetry of Fadwa Toqan (Analytical Study)"aimed to illustrate the most important symbols which the poetess used in her Arabic poetry for Palestinian people. She tried her best to convey the message of Palestinian to all over the world in her very impressive way. Fadwa Toqan is one of the Arab contemporary literary figures who contributed towards contemporary Arabic literature and occupied her position through hard working and developing her poetic experience in Modern Arabic poetry. She succeeded in her mission, regardless the limitations & habits of her family. She belonged to a noble family. She wrote in Arabic poetry & prose and awarded many national, international prizes. She was born in 1917and died in 2003.

Fadwa Tokan used symbols to express what was there in her mind, feelings and its reactions with self living in her society. She described symbols in her poetry to enable the people of her nation for freedom .She motivated her nation through symlobs described in her poetry and prose. The symbols made it possible for us to understand contents of her poetry and to benefit from her experience. The poetess used natural items a lot in a semantic symbolic way. The poetess succeeded to make the details of natural elements and life sources of inspiration. This article opens the way for more research and mentions some issues that need more elaboration and investigation such as the study of symbolism in the prose of Fadwa Toqan (i.e. her biography) as well as the study of symbol in poetry of the Palestinian and Arab poets since such studies enrich the Arabic literature and criticism. She addressed her nation through symbolic words,these symbolic words have been described in this article.

Keywords: Arabic, Palestinian, symbols, poetry, experience, terms, society, issues, political.

---

* باحث درجة الدكتوراه فی قسم اللغة العربية بجامعة الكلية الحكومية فيصل آباد

** الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية،جامعة الكلية الحكومية فيصل اباد

هذه الدراسة ألّتي موضوعها"استخدام الرموز في شعر فدوى طوقان (دراسة تحليلية)"تهدف إلى أبراز أهم الرّموز والإشارات ألّتي جاءت بها الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان في شعرهاعن الذّات الشخصى،والمجتمع الفلسطينى،والوطن العربى. وكانت فدوى طوقان شاعرة فلسطينية وتعد من أعلام الأدب العربي المعاصر،واحتّلت مكانتها مرموقة و مصدِقة على تجربتها الشعرية بكل قيوده وعاداته. و كانت فدوى طوقان تلجأ إلى الرمز كوسيلة للإيحاء بما يمورفي أعماقها، وتفاعلاتها مع الذّات، والمجتمع، وقضيّة وطنها. وأن الرمز عندها لم يأت غامضاً مبهماً،بل هى تستعملها للدلالات والإيحاءات ألّتي يتضمّنها في شعرها. فكانت مصادرهذه الرموز والاشارات عند الشاعرة مصادر ذاتية،مأخوذة من التراث الدينية، والتأريخية، والأدبية للتعبير عن مضامينها وتجاربها والاستلهام من مآثرها الحياتيه. وأحياناً لا تتقيد شاعرتنا بدلالة مرجعية لرموزها،وإنّما تستوحي دلالات هذه الرموز بناءً على صلة نفسية تربطها بمظاهرالوجود المختلفة. وأحياناًتكشف من عناصرالطبيعة بصورة الرموزالموحية.و قدنجحت شاعرتنا تقديماً تفاصيل الحياة والطبيعة عما يجول في نفسها.

وهذه الدراسة تفتح أبواباًواسعةً للبحث،وتشير إلى بعض الأمورالّتي تحتاج إلى التعمّق والتمحيص،مثل دراسة الرمز في آثارفدوى طوقان النثرية أي فى سيرتها الذاهتية، وكذلك دراسة الرمز في أشعارشعراء العرب بعامة والفلسطينيين بخاصة وبناءاًعلى ذلک،صارهذ االموضوع مهماً جداًلباحثين وطلاب الأدب العربى الحديث۔

وقبل أن نتحدث عن الرموز الشعرية ألتى اهتمت بهاشاعرتنا،ينبغي لنا أن نوضح كلمة "الرمز"لغةً واصطلاحاً. وكذلك يجب لنا أن نعرف بالشاعرة تعريفاً مؤجزاً، فنبدأ بتعريف كلمة:"الرّمز"إن الرّمز باتّفاق جل المعاجم يحمل معنى إيجابياً،فالمراد من كلمة:"الرمز"عند اللغويين: الإيماء والإشارة و العلامة۔ و قيل ترامز القوم أى أشاروا خفيةً بالعين أوالشّفتين،أوجزءا من أجزاء الجسم،أو أى شكل من أشكال التّعبير اللّفظية وغيراللّفظية ۔وقد وورد فى لسان العرب لابن منظورعن مادة كلمة: الرمز:"الرمز معناه تصويت خفى بلسان كالهمس ويكون تحريک الشّفتين بكلام غيرمفهوم باللّفظ ،وانما هواشارة بالشّفتين،وقيل الرمز اشارة وايماء بالعين والحاجبين والشّفتين والفم،جملة القول ،الرّمز فى اللّغة :"كل ماأشرت اليه مما بيان بلفظ بأى شئ أشرت اليه بيدأو بعين"۔(١)

سنذكرمثالاًواحد من القرآن الكريم لتوضيح هذه الكلمة القرآنية كماجاءت كلمة الرمزفى القرآن الكريم فى قصّة زكرياعليه السلام وقال الله تعالى:"قال ربّ اجعل لّى آيةً قال آيتک الاّ تكلّم النّاس ثلاثة أيّامٍ إلّا رمزاً"۔(٢)، أى أيما فقط يعنى اشارة بنحو يدأورأس۔

ومعناها"علامتک أن لاتسطیع التکلم ثلاثة أیّام الاّ بالاشارة ـ

أمّا کلمة الرّمز اصطلاحاً کما ذکر کرم انطون فی کتابه:" فهی آلة أدبیة تمکن الأدیب أن یتکلّم وراء النّص ویتیح لنا أن نتأمل شیئا آخر ورآءالنص فالرّمز قبل کل شئ معنی خفّی وایحاء"(۳) وأطلقت کلمة الرّمز علی اشارة الی شئ آخر،کما کانت کلمة الرّمز بدیلاًعن شئ آخر أویحل الی فکرة أومعنی محدد، فالعلاقة الداخلیة تربط الدال بالمدلول مثلاًالصلیب یرمزالی المسیحة،اذن فالعلاقة بین الصلیب والمسیحیة هی علاقة رمزیة"(۴)۔

سنذکر نبذة وجیزة حول حیاة فدوی طوقان کما عرفنا من المصادر الالیکترونیة والکتابیة،ولدت فدوی طوقان بنت عبد الفتّاح طوقان فی سنة ۱۹۱۷م بمدینة نابلس وتوفیت فی سنة۲۰۰۳م ـوکانت شاعرة وکاتبة عربیة وفلسطینیة ـ وکانت ماهرة فی اللّغة العربیة والانجلیزیة ـ وقد حصلت تعلیم للمرحلة الابتدأءیة بمدارس مدینة نابلس، وکانت تتعلّق بأسرة معروفة فلسطینیة ألّتی اعتبرت مشارکة النساء فی الحیاة العامة أمراً غیرمقبول ،فلذا،ترکت مقاعد الدراسة ودرست بأیدی شقیقها ابراهیم طوقان ألّذی نمی وشجّعها علی کتابة الشعرونشره فی العدید من الصّحف العربیة وأسماها:"أم تمام"ثم غیرباسم:"محمود درویش"وصارت فدوی طوقان شهیرة بلقب:"أم الشعر اء الفلسطینی"ـوشقیقها ومعلّمها ابراهیم طوقان شاعر عربی عظیم ألذی لعب دوره فی تطویر الأدب العربی المقاوم ـ۵ بتشجیع ابراهیم طوقان أصبحت أختهاشاعرةً وطنیةً فلسطینیة وشاعرة المقاومة۔

أمّاأعمالها الأدبیة : فکانت شاعرة وکاتبة عربیةعظیمة کماهو واضح من مصنّفاتها ألّتی تدل بشرفها،سنبین بعض منها:"أخي إبراهیم"فهذه المقالةتحتوی علی حیاة شقیقها ابراهیم طوقان ومسیرته الشعریة، ألذی توفی فی شبابه وطبعت فی سنة۱۹۴۶م۔ وکذا نظمت أشعارها بعناوین التّالیة: "وحدي مع الأیّام"ونظمت هذه المجموعة الشعریه فی سنة۱۹۵۲م و"وجدتها"ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة۱۹۵۶و"أعطناحباً"ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة۱۹۶۰و" أمام الباب المغلق "ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة ۱۹۶۸و" اللیل والفرسان"ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة ۱۹۶۹و"علی قمّة الدنیا وحیداً"ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة ۱۹۷۳و" کابوس اللّیل والنهار"۱۹۷۴ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة و"قصائد سیاسیة"ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة ۱۹۸۰و " تموز والشیء الآخر"ونظمت هذه المجموعة الشعریة فی سنة ۱۹۸۷، کما تضم سیرتها الذّاتیة في جزئین هما"رحلة جبلیة ... رحلة صعبة " وطبع فی سنة ۱۹۸۵ و"الرحلة الأصعب"وطبع هذا الکتاب فی سنة۱۹۹۳م ـ

-واستخدم شعراء العرب الرّموز والاشارات فی أشعارهم،فاستخدام الرّموز،مظهرمن مظاهراللّغة وكوسيلة أدبية. فاستخدموا الشعراء الرّموزللتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، فالرّمز أحسن وسيلة للتعبيرعن أوجه النّشاط الانسانى الفكرى والثقافى. وللرمزأقسام عديدة كالرّمزالقرآنى والسياسى والشعبى والأدبى واللّغوى وغيرها.

يستخدم فيه الشاعر الكلمات الغريبة ألّتى تحتاج للتوضيح والتصريح أوالتفسيرفهو دلّ على استخدام الرموز القرآنية والشعرية فالّذى يكتب أو ينشد كلمات أو مصطلحات سياسية لارشاد النّاس الى السياسية فهومن أمثلةالرموزالسياسية. أكثرالشعراء يذكر فى شعرهم الكلمات أوالجمل أوالأمثال ألّتى تحرض النّاس على الفخر على شعوبهم فهذه الكلمات تعدّها من أمثلة الرموزالشعبية. وشاعرتنا فدوى طوقان تستخدم فى شعرها كثيراًمن الرموزللتعبيرأحاسيسها والتجربات حياتها،ومن تلك الرموزألّتى نجد فى شعرفدوى طوقان فمنها: الليل،المطر والريح،السحاب الغيوم،والجدران والقيود، والقمر، والنجوم، والأرض والدار،والأفعى،والخريف والربيع والشرق وغيرها وسنذكربعض منها بالأمثلة:

الليل: لقد وردت كلمة: اللّيل فى شعر فدوى طوقان بصورة واسعة ليرمز الى الحالة النفسية،والتناقضات الدّاخلية الّتى مرّت بهافدوى طوقان على مدارسنوات عمرها بكل مايمثله اللّيل وما يستثيره من احساس بالوحدة والحزن والأسى،كما تسخدمها فى سياق تناول الأسئلة والهموم الوطنية ليعبرالحالة السياسية الوطنية عن الاحتلال. وأحياناً لجأت فدوى الى استخدام هذا الرمز فى حالة المضاف اليه كما هى تستخدم الرموزالتالية:

غاب الليل ،وجبل الليل،وغيلان الليل،ووحشة الليل ،و خلوت الليل .

ومن الأمثلة العديدة فى شعرفدوى طوقان كماهى تقول:

كبروا فى غاب اللّيل الموحش فى ظل الصبا المر

كبروا أكثر من سنوات العمر (١٠)

وقد رأينا فى الشّعرالتّالى،رمزت فدوى طوقان بغاب الليل المتوحش مشيراً الى الاحتلال الّذى يغتصب الحقوق الفلسطينية فهى تقول:

دربى موحشة يزحف فيها جبل الليل تنفلع تحتى أرضيى العطشى ---

تحاصرها نقط التفتيش غيلان الليل تطارد فيها حتّى الظل (١١)

بينما استخدمت رمز(وحشة اللّيل): لترمزبه الى الاحتلال فى حديثها عن القضية والى وحدتها فى حديثها عن الذات،وبهذا يتحرّك الرمزحسب الحالة الشعورية الّتى تعبرعنها الشاعرة ومثال ذلك.

وفى وحشة اللّيل المواجع ليل المواجد ليل الهموم (١٢)

والليل من أفضل الأوقات ألّتی یستسلم فیها الشّاعرة لوحدة،و عزلته عن النّاس : فناجیه و یخاطبه ، وتقول فی قصیدة"وقد حدثتنی ذات لیلة "۔

أهیم بعیداً و لیس معی سوی وحشة اللیل فی مخدعی
وفی الدّارحولی فراغ الصحاری وصمت القفار (۱۳)

و کلمة اللیل هنا تربط بالعتمة والنعلاق،وفقدان الضوء ،نحوالذات والعزلةوالانطواء علی الأحلام الذّاتیة ،وأحیاناً تسخدم فدوی طوقان هذا المصطلح للتأمل واطلاق العنان للخیال فی محاولة : لایجاد نوع من التوازن کرد فعل نفسیی علی القلق والتواتر والیأس۔ولا شک فی أن مفراداتها المرتبطة بهذا الحضورالدائم لللیل له ما یبرزه،اذ تتخذ منه منطلقاً: للخروج من حالة الاستبهام والانعلاق واستحضار الذکریات۔

الریح: فنجد التکرراستخدام رمزالریح مستخدماً للمستویات الثلاث : الذّاتی والاجتماعی والوطنیی۔فالمراد من کلمة الریح أی: التقلب والحرکة،أنّها تعبر عن القلق وعدم الاستقرار فی فلسطین وشاعرتنا تعبربهذا الرمز،الفعل الخارجی،و لهذااستخدمته للحالة النفسیة،وکذااستخدمته لترمزالی الاحتلال ،وتصبح رمزالریح ذات مدلول سلبی مدمر۔ سنعرض الی ذلک قول فدوی طوقان فی قصیدتها"عاشق موته":

أراه طائری یطیر یهجرنی قبل الأوان
یفلت من یدی فی دوامة الریاح
یدافع الریاح ثم یهوی من مشارف الکفاح (۱۴)

وأحیاناًاستخدمتها شاعرتنا لترمز بهاالی العادات والتقالید ألتی عصفت بحیاة فدوی طوقان وبهذا تکون رمز الریح هنا رمزاً سلبیاً بما حکم بالبقاء داخل القم قم الحریمی ،و تبین باستخدام هذا الرمز،حال دون تحقیق الذات بالعلم والدراسة سنعرض مثالاًمن شعرفدوی طوقان کما هی تقول:

وبقیت أصرخ من قرارة وحشتی لاتبعد
فتبدد الریح النداء مع الصدی المتبدد و بقیت وحدی
حیری أدور ، أصارع الدوامة الهوجاء (۱۵)

وأحیاناً استخدمت فدوی طوقان هذا الرمز لدلالة ایجابیة وخاصةًعندما ارتبطت بدفع شراع الثورة: لیبحرالزورق،فهی تقول بهذا الصدد:

کانت خطاء حین جاء جرسا یقرع فی أقبیة الظلام
والریح کانت حین جاء فرسا ارکض تحتة و تنقض الحطام (۱۶)

وقدرأينافی شعر فدوی طوقان ،تستخدم شاعرتنا هذا الرمز للوصول الی تحقيق ولدلالة جمالية أو فكرية ، و من هنا يظهرأنّها تحمل رمزالريح بدلالالت مختلفة،أحياناً ترمز للاحتلال،و تارةً أخرى للمصائب والصعوبات والضّياع والتية،وأحياناً للتجدد والقوّة والثّورة على الاحتلال،والهب والأسواق وغيرها۔

الطير: وفی أكثر الأوقات تستخدم شاعرتنا رمز الطّير لاظهار الحرية والانطلاق ،والصعود والتحليق، كماتستعمله للسكون والهبوط وفقدان الحرية أيضاً، و وهكذا لجأت فدوی طوقان الی توظيف هذا الرمز بصورة واسعة فی أشعارها، وكأنّها تستبدل قيود واقعها الاجتماعی بتجربة نفسية مفترضة، وأنها تلجأ الی التحرر الروحی والنّفسی،لأنها تغادرقيودها وواقعها،وتحلق وراء أحلامها وعواطفها بكلّ حريةٍ ۔

المطر: وتارةً تستعمل شاعرتنا رمزالمطر للخير فهوالخيروشرط الحياة وقد أشارالله سبحانه وتعالی فی القرآن الكريم (وجعلنا من الماء كل شئ حی) الأنبياء(١٧) فالمطر شرط تمهيدی للانبات ،وهو نتاج الصراع ۔وأمّا الريح والرعد والبرق والغيوم عناصرها ولوازمه،فلهذايكون المطرخيراً،ولابدمن الحركة والمقاومة أن يكون خيراً،ولحصول هذا الهدف العظيم استخدمت فدوی طوقان رمز المطر دلالةً على الثورة،ويضاعف لهذه الدّلالة معنی التطهير والاغتسال من السلبيات، كماهی تقول فی شعرها:

أهتف من قرارة الأحزان بالريّاح هبی وسوقی نحونا السحاب
ياریاح وأنزلی الأمطار تطهرالهواء فی مدينتی
و تغسل البيوت والجبال والأشجار هبی وسوقی نحونا السحاب
ياریاح ولتنزل الأمطار (١٨)

وتارةً استخدمت فدوی طوقان رمز المطردلالةً على السلبيات عندما ربطته بصفة محدودة فالمطرالأسود هنا أصبح مرادفاً له الاحتلال ۔ كماهی تقول فی شعرها:

وجه حزيران اربد زخ المطرالأسود
و هناک على أطراف الأفق هوت وتعلقت اللعنة۔(١٩)

السحاب والغيوم: فنجد استخدام لهذين الرمزين للتعبيرعن البعد الذّاتی والنفسيی فی شعرفدوی طوقان، والمراد بهذين الرمزين الغموض وعدم اليقين فی حالة الاضطراب كما هی تقول فی شعرها:

ودونک ياقلب هذا الفضاء تجوز به السحب العابرة
مراكب تمخر اثر مراكب تدفعها قوة قاهرة
كأنی أری فی شكول السحاب نواتی أبصارهم حائرة (٢٠)

فتبقى الغيمة حبلى فى طبيعة فدوى طوقان باحتمال الخيروالعطاء،ولهذا هذا الرّمزملتبس و متحرك فى عمقها بأن يتغير الواقع نحو الأفضل، كماهى تقول:

و يحرث بستان روحى يسوق اليها الغمام
فى مطل فيها المطر ويورق فيها الشجر (٢١)

الجدران والقيود: وهذان الرمزان هما علامة القاسى للحرية ، أنهما تدل على الطير والصباح والريح والمطر،فالمراد بالجدارن أى ارتداد النظر،وفقدان رؤية الأفق والمدى، أنّها تعبرعن القهر المعنوى والروحى و لهذا ارتبطت بحالة الانكسار الذاتى ،فالجدران بوصفها تجسيد المشاكل الواقع وتعبرعن قسوة العادت الاجتماعية ألّتى هى بمثابة الجدران ألّتى تحيط بروح فدوى طوقان وأحلامها وآمالها على أكثر من صعيد و سنعرض مثال من أشعارها بهذا الصدد:

هى:حياتى ياعباس حلم مروع الاشباح حلم
أطبقت على به جدران سجن داج رهيب النواحى
عشت فيه مخنوقة الروح ظمأى لندى الفجر ، للشذى، للنور (٢٢)

أمّا القيود فهى دلالة أكثر حدة أنها تقيد الجسد،وهكذا القيود يحس فقدان الحريّة الروحيّة والمعنوية فى أذهان عامة الناس ـ فان القيود تقرب بالذات الشخصية،و كذا تصبح القيودحالةمركبة بشدة. سنعرض مثالاً من شعرفدوى طوقان بهذا الصدد:

هذا خيال طفولة لم تدر ما مرح الطفولة وهنا صبا عضت عليه قيود و سجن واضطهاد
باك ذوت أيامه خلف انطواء وانفرا (٢٣)

الشمس والقمر والنجوم: فنجد استعمال كلمة الشمس ،والقمر، والنجوم رموزاً فى شعر فدوى طوقان وتستخدمها للبعد والعلو والتحرر،فهى السفرومغادر الواقع ومطاردة الأحلام.وهذه الرّموز استخدمها فدوى طوقان بصورة فعالة : للتعبيرعن أحلامها وأحياناً:للتعبيرعن حريّة الشعب الفلسطينى أوالتعبيرعن الفدائى،أوالمقاوم الّذى يتحوّل الى النّجم والى الشّمس،فهى رمز الحرية،وشرط الحياة كماهى تقول فى شعرها:

ياطائرى السجين اصدع لنا رغم هوان القيد رغم الظلام
فالأفق ما زال غنى المعنى ينتظر والشمس وراءالقتام (٢٤)

فأما كلمة:القمر فهى رمز لروح الحالمة والعاطفة والرقة. وأماكلمة: النجم فهى دليل السير، وكلمة الفدائى فهى تستعمل للمقاومة وهو الدليل الى طرق التخلص من الاحتلال ، كماهو كلمة : النّجم دليل المسافرين ،حتى يصلوا الى شواطى الأمان ،و سنعرض مثالاً لاستخدامها

من شعر فدوی طوقان:

وكلما نجم هوى فی موسم الاعصار والسموم

انتفضت أشجارها وأطلعت سواه أفواجا من النجوم (٢٥)

الأفعی: و تستعمل فدوی طوقان كلمة :الأفعی كرمز مستفيد من الدلالات الرمزية الّتی ترتبط بدور الأفعی فی النص الدينی فهی المخلوق الماكر والمخادع والغادر،فالمراد من رمز الأفعی أعداء الشعب الفلسطينی ـ سنقدم مثالاً بهذا الصدد من شعر فدوی طوقان كما هی تقول:

طوق الجند حواشی الدار والأفعی تلوت

وأتمت ببراعة اكتمال الدائرة (٢٦)

الأرض و الدّار:و تستعمل فدوی كلمة الأرض والدارمرزاً للانتماءوالأصالة،وكلمةالأرض فهی حاضنة الظواهرجميعاً،وهی الأم الكبری حيث يجدالريح والمطر والنبات والحيوان والصحراء والليل ـ وهذه الرموز الفنية وردت فی شعر فدوی بدلاً الرسوخ والهدوء والثبات،وجملة القول،أنها الأم الكبری حيث يريح الإنسان رأسه على صدرها:

هذه الأرض ألتی تحصدها نار الجريمة

وألّتی تنكمش اليوم بحزن وسكوت هذه الأرض سيبقی

قلبها المغدرة حيا لا يموت هذه الأرض امرأة (٢٧)

أمّا كلمة :الدار ،فالمراد بهذاالرمز :المشخص والملموس والتواصل والتفاعل ليتشكل فی النهائية الوطن الأكبر فلسطين ـ فكلمة : الدار وهی محيط و بيئة وعلاقات و ذكريات ،سنعرض مثالاًمن سنعرض فدوی طوقان:

قفا نبک على أطلال من رحلوا وفاتوها

تنادی من بناها الدار وتنعی من بناها (٢٨)

الاعصاروالرعد والبرق:

تستعمل فدوی طوقان هذه الرموز كثيرا فی شعرها: وانها الحركة بأعلى درجات تمردها وفاعليتها،و تأخذ معناها سلباً أو ايجابا من سياقات استخدامها ـ واستخدمت فدوی هذه الرموز : لتعبر عن الفعل الأقصی ، التدمير أو المقاومة ، أو الوعد بالخير ـسنعرض أمثلة عديدية بهذا الصدد من شعرها:

يوم الاعصار الشيطانی طغی وامتد يوم الطوقان الأسود

لفظته سواحل همجية للأرض الطيبة الخضراء (٢٩)

و فی آخرتر مز فدوی طوقان الی المقاومة فی شعرها:

والضفتان ترددان: حريتى و معاير الريح الغضوب
والرعد والاعصار والأمطار فى وطنى ترددها معى
حريتى حريتى حريتى (٣٠)

الخريف ، الربيع ، الشرق:

هذه الرموز لها مرتبطة بدورة الحياة الانسانية و حركة الزمن ، وتأخذ دلالاتها الأدبية و النفسية من التحولات الطبعية المرتبط فى الواقع ، فالكلمة:الخريف وهى عرى الأشجار ، واستعداد الطبيعة للبيات الشوى بانتظارالنهوض مرة أخرى،فالمراد من هذه الرموز الفنية : الأسى والحزن الشفيف وغيرها كما تقول فدوى طوقان:

وأنت وأنت تخاف والخريف وتشفق من ريحه العاتية
تخاف على زهرات الصبا تبددها كفه القاسية(٣١)

أما كلمة: الربيع فهى تستعمل لاستيقاظ الطبيعة والتجدد والفرح،فهى رمز تستخدم : عن كل ما هو جميل ، و بقدر ما أن الخريف هو دلالة على خريف العمر ، فان الربيع هو دلالة على الشباب والأمل كقول فدوى طوقان:

كيف تكون ، تنامى كيف توغل فى الأبعاد وعرش حتى افترش الدنيا؟
يشبعنى حزنا وهو يفجر فى ربيعا ورديا يشبعنى موتا وهو يمس رماد القلب فيبعث حيا(٣٢)

وأما كلمة الربيع فهى رمز للحظة الفعل و التفاعل ، فلكل كائن ربيعه و خريفه ، ولهذا ترتبط هذه الرموز بالتجربة الذاتية و بالحالة النفسية لكل انسان۔

أمّا الشرق فهو رمز مركب له دلالاته النفسية ،فهو الشروق والصباح ، هو لحظة الفرح الأولى والشعاع الأول ، و لكنه اجتماعيا مثقل بالجمود والسكون والتقاليد المحافظة۔

فقلبى قلب امرأة من الشرق ۔۔۔ يعشق حتى الفناء
و يومن فى حبه بالقيود (٣٣)

هنا من الضرورى الانتباه عند التعمل مع هذا المفهوم للاسقاطات الاستشراقية ألّتى تبط الشّرق بالتخلّف وبفقدان العقلانية۔غير يبقى موصولاًومتلاحماً مع البعد الروحى،ومهبط الديانات والأنبياء والرسل ، فهو رمز يقيم الجسور بين الروح والعقل ،و بين الأرض والسّماء۔ ولذلک كانت مفردات الرّمز فى شعر فدوى طوقان تحمل عب الذّات و المجتمع والقضيّة مختاراً الرموز من واقع حياتها،و عهدت اليها بمهمّة التعبير ، أو الايحاء عمّا تريد ، فالشّاعرة تتّخذ الرّمز أداة تعبيرعن تجربتها الذّاتية والواقعيّة ، لذلک أجد كثيراً من رموزها تحتفظ بقدرملحوظ من الوضوح ،لا تنقطع الصّلة بينها و بين المتلقى ، فقد ظلت

قریبة من الواقع ، من الأرض ،و الشجر ، والحیوان ، والطیر و الحجر، والانسان ، فهی تشکل عناصر الواقع المعیش۔

هذا الاستعراض المکثف ، لدور و حرکة الرمز فی تجربة فدوی طوقان الشعریة الغنیة والطویلة ، یبین الحضور الکثیف لتجربة فدوی طوقان الزاتیة و التأثیرات النفسیة ألتی اتسمت بها شخصیتها، وما تعرضت له من مّاناة شخصیة و اجتماعیة فی بیئة حاضنة ذات مواصفات و تقالید و ثقافة محافظة ، الأمر الذی تحول الی قیود أثقلت روح فدوی طوقان و قیدت من أحلامها وطموحاتها۔

خلاصة البحث:

إن استعراض الرّمز فی تجربة فدوی طوقان الشعریة الغنیة والطویلة ،یکشف الحضور الکثیف لتجربة فدوی طوقان الذاتیة، والتأثیرات النفسیة التی اتّسمت بها شخصیتها ، وما تعرضت له معاناة شخصیة و اجتماعیة و سیاسیة ، کما أنّها من أعلام الأدب العربی المعاصر ، اذا احتّلت مکانتها باصرارها و أدبها علی تطویر تجربتها الشّعریة ، رغم معاناتها بوصفها فتاةً فی مرحلة ،کانت المرأة ماتزل فیها متّمسکة بعادات وثقافة أسرتها۔

و من خلال دراسة الرمز في شعر فدوی طوقان یمکننا استخلاص النتائج الآتیة:

1. یعد الرمز ثمرة یقتطفها الشاعرعبر إدراکه الحدسي للعلاقات العمیقة والخفیّة بین الظواهر وما یختبئ وراءها من طاقات وإیحاءات ومعان خفیّة متولدة من التقاء الأشیاء للکشف عما یمور في خلجات نفسه.

2. استعانت الشاعرة فدوی طوقان بالرّموز والإیحاءات لکی تعبر عن ذاتها_أحیاناً_بعیداً عن المباشرة والتعبیرات السطحیّة.

3. ولجأت الشاعرة إلی الرّمز کوسیلة للإیحاء بشئ مما کان یمور في أعماقه تفاعلاته الخارجیّة مع الکون لأن الرّمز في مثل هذه الحالة من أقوی الوسائل الفنیّة في مجال إثارة مناخ شبیه بما تحسّه الشاعرة.

4. خدم الرّمز في شعر فدوی قضیّتها الذّاتیة، وقضیة وطنها، لذا فالرّمز عندها لم یأت غامضاً مبهماً، وبهذا لا یتعذر علی المتلقي استشفاف الکثیر من الدلالات والإیحاءات ألّتي یتضمنها الرّمز في شعرها.

5. وجاءت رموز فدوی قریبة من الواقع ومعطیات الحیاة ما یثیر جوا من الألفة، وإحساساً بالبساطة عند المتلقي عند بحثه عن دلالات الرّمز.

6. لا تعني بساطة التوظيف للرّموز بأي حال من الأحوال أن رموز فدوى باتت مكشوفة مفضية بكل محتواتها للمتلقي، بل المقصود أن القارئ بإمكانه_ عبر طاقاته _الكشف عن دلالات هذه الرّموز. فهي تستخدم مجموعة من الرّموز ألّتي لا يجد الدارس أو المتذوق صعوبة كبيرة في التقاط دلالاتها الرّمزية، بالرغم من رحابة هذه الدلالات وتنوعها.

7. أعطى الرّمز في شعر فدوى شحنة انفعالية كبيرة تقود القارئ رغما عنه إلى التفكير في المعاني المطروحة.

8. تعددت مصادر الرمز عند الشاعرة بين مصادر ذاتية، وتراثية من الثقافة العربية: كالرمز التاريخي، والرمز الديني، والرمز الطيعي، والرمز الأدبي والرمز الشعبي. أمّا فيما يتعلّق بالرمز الأسطوري، فإن توظيفها له كان في قصائد محدودة، وبشكل غير مباشر في بعض المواضع.

9. لا تتقيد الشاعرة في بعض الأحيان بدلالة مرجعية لرموزها، وإنما تستوحي دلالات هذه الرموز بناء على صلة نفسية تربطها بمظاهر الوجود المختلفة.

10. أن توظيف رموز الطبيعة عند فدوى طوقان يوحي بالحالة النفسية الحزينة التي كانت تعتري الشاعرة، فهي تستقي رموزها من واقع تجربتها المعيشة بناء على شبه نفسي، فلم تعد الطبيعة مصدر جمال، أو موضوعا بلاغياً تخاطب الحالات النفسية والشعورية، بل ارتقت اللفظة الدالة على العنصر الطبيعي إلى مستوى الرمز.

11.و غلب استخدام الشاعرة لعناصر الطبيعة رموزا، وتجدر الإشارة إلى أن استخدام فدوى لرموز الطبيعة جاء استخدامّا سلبيا أكثر من استخدامها إيجابيا، وذلك بما يتوافق مع الحالة الشعورية التي تصورها فدوى.

12. تلونت الرموز ذاتها في بعض قصائد فدوى بمعان وإيحاءات رمزية تختلف من موضع إلى آخر، ما بين الدلالة الايجابية حينا، والسلبية حينا آخر.

13. استطاعت الشاعرة من خلال الرمز أن تجعل من تفاصيل الحياة والطبيعة منابع بوح وايحاء، وأن تلتقط من الكون والطبعية الأشياء الصغيرة لتبني منها صرحا يفيض بالعواطف والقيم الجمالية.

على أية حال إن ما قمت بتحليله ما هو إلا نموذج لما يمكن أن يساور المتلقي من رؤى وانطباعات ذاتية إزاء نص شعري رمزي، لذا لا أدعي أنني استقصيت رموزها كلها في هذه الدراسة المؤجزة، ولكنها محاولة جادّة في حدود الوسع والطاقة، للكشف عن طبيعة رموزها ومجالات توظيفها، فعملية حصر الرموز عملية شاقةن وبهذا فقد تكون دراستي كنقطة ماء ربما تكفي لتحليل المحيط.

Sources& References

1. Al-Afreeqee,Ibn Manzoor,Lisan-ul-Arab,Dar-u-Alsadar,Beriut,p,3,j,4,p,223(Ramz).
2. Al-Emran:41
3. Karam Antuon,Al-Ramzia w Al adab Al Arabi Al Hadith,Jamia Amricia,Beruit,p,1,1947,p,8-10
4. Adunees,Ali,Ahmad,saeed,Al-Thabit wa Al manhool Bahath fi Al Ebda Wa Al itba Enda Al Araba,Dar-ul- Saqee,Bareiut,1978,p,140
5. Al juesi,salma,Alkhazar,Al –Ittijahaat wa Al harakar Alaamat fi Al sher Al arabi Al Hadith,translation,Abdul wahid Luluo,Markaz Dirrasat-Al Alwahdat –ul Al Arabia ,Beruit,,j,2,2007,p341-349
6. Abid,p,543-560
7. Fidwa Tuqan,Al-rehalatu Al asab,Dar Alsharq linashar wa Al touzee,1993,p,37
8. Abid,p,50
9. Salma,Al khazara,Al jaushee,Kalimatu Tamheedia Lituqaan,Rehlatu Jablia,p,9
10. Tuqaan Fidwa,Al aamaal Al shariya,Beriut,Dar-ul-KutabAl-Elmiyah,2011,p,507
11. Abid,p,579
12. Abid ,p,153
13. Abid,p,246
14. Abid,p,493
15. Abid,p,257-258
16. Abid,p,532
17. Al Ambiaya,30-
18. Al aamaal Al shariya,p,437
19. Abid,p,507
20. Abid,p,73-
21. Abid,p,542
22. Abid,p,279,280
23. Abid,p,87-
24. Abid ,p,301-302
25. Abid ,p,533
26. Abid ,p,488-
27. Abid ,p,486-487
28. Abid ,p,459
29. Abid ,p,420-421
30. Abid ,p,496-497-
31. Abid ,p,74
32. Abid, p, 210.
33. Abid ,p,216-